سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (9)

ديوان أحمد الغزال

أحمد بن المهدي الغزال الحميري الأندلسي الفاسي

(ت 1191 هـ)

(الجزء الأول)

بسم الله الرحمان الرحيم

يُمنُ الهَناءِ بطيبٍ لَهُ هِمَمٌ   قد زانَها الفَضلُ والإحسانُ والأدبُ

تعالى تعالى إلهُ الورى ... وعزّ وجلّ الحليمُ الكريم

يُوشّحُ حكمتهُ من يشا ... فسبحانهُ من حكيمٍ عليم

تعالى تعالى إلهُ الورى ... وعزّ وجلّ الحليمُ الكريم

يُوشّحُ حكمتهُ من يشا ... فسبحانهُ من حكيمٍ عليم

أميرٌ سما المُلاكَ بالدين والعلمِ وبالفضل والإحسان والعدل والحلمِ

يُؤسِّس رُكنَ الدين والعدل والتُّقى ويهدم سُورَ الضير والضيم والظُّلمِ

أميرٌ سما المُلاكَ بالدين والعلمِ وبالفضل والإحسان والعدل والحلمِ

يُؤسِّس رُكنَ الدين والعدل والتُّقى ويهدم سُورَ الضير والضيم والظُّلمِ

مدائحي لعلاهُ جواهرٌ في عُقود

تزينت بقبولٍ من بحرِ فضلٍ وجود

مدائحي لعلاهُ جواهرٌ في عُقود

تزينت بقبولٍ من بحرِ فضلٍ وجود

رائقَ الأمداحِ والغزلِ   جئتُ نجلَ أكرمِ الرسلِ

حكماً أودتها فغدت   تزدهي بالحلي والحللِ

يمنها بذكرِ صاحبها   ثابتٌ في القولِ والعملِ

باذلُ المعروفِ عن منٍّ   مانحُ الإحسانِ عن عجلِ

غيثُ غربنا وأنعمُهُ   ليثُ المهيبُ في الحللِ

نخبةُ الملوكِ دولتُهُ   بالتهاني أسعدُ الدولِ

أبداً أهدي لحضرتِهِ   رائقَ الأمداحِ والغزلِ

رائقَ الأمداحِ والغزلِ   جئتُ نجلَ أكرمِ الرسلِ

حكماً أودتها فغدت   تزدهي بالحلي والحللِ

يمنها بذكرِ صاحبها   ثابتٌ في القولِ والعملِ

باذلُ المعروفِ عن منٍّ   مانحُ الإحسانِ عن عجلِ

غيثُ غربنا وأنعمُهُ   ليثُ المهيبُ في الحللِ

نخبةُ الملوكِ دولتُهُ   بالتهاني أسعدُ الدولِ

أبداً أهدي لحضرتِهِ   رائقَ الأمداحِ والغزلِ

يَمِّم حمى تاج المُلوك محمد   إن شئت أن تحظى بسعدٍ مُسعد

شمس الملوك بأفق غربٍ نُورُهُ   يهدي الرعية للنجاح الأسعد

يحمي ذمار المسلمين بعدلِهِ   وبسيف حقٍّ كفَّ كف المعتدي

دامت صنائعُهُ الجميلةُ في الورى   أمد المدى إمدادها لم ينفد

وتراكمت أمواجُ بحرِ نواله   ومعينها مُستعذَبٌ للورد

صافي المشارب كوثريٌّ طعمُهُ   في ورده نيلُ المُنى والمقصد

فاضت علينا من زُلالِ معينِهِ   نعمٌ لها شكري بيومي والغد

أعظم بها نعماً إذا ما شئتها   يمّم حمى تاج الملوك محمّد

يَمِّم حمى تاج المُلوك محمد   إن شئت أن تحظى بسعدٍ مُسعد

شمس الملوك بأفق غربٍ نُورُهُ   يهدي الرعية للنجاح الأسعد

يحمي ذمار المسلمين بعدلِهِ   وبسيف حقٍّ كفَّ كف المعتدي

دامت صنائعُهُ الجميلةُ في الورى   أمد المدى إمدادها لم ينفد

وتراكمت أمواجُ بحرِ نواله   ومعينها مُستعذَبٌ للورد

صافي المشارب كوثريٌّ طعمُهُ   في ورده نيلُ المُنى والمقصد

فاضت علينا من زُلالِ معينهِ نعمٌ لها شكري بيومي والغد

أعظم بها نعماً إذا ما شئتها يمّم حمى تاج الملوك محمّد

يُمنُ غَربٍ نَصرُ ملكٍ أوحد   قد حماهُ من تعدي المعتدي

قامَ باللهِ ولبيهِ لما   جاءَ في الشرعِ العَزيزِ الأحمَد

واثقٌ باللهِ كافٍ مُكتفٍ   مُرشدٌ أنعم به من مُرشد

منةٌ أكرمنا اللهَ به   فهنا الغربُ به لم ينفَد

ظفرت أرواحنا من يُمنهِ   بأمانٍ في زمانٍ أرغَد

هامَ في أوصافه ذو أدبٍ   ودهى ذهنَ ابليغِ أمجد

يا لهُ من مالكٍ إحسانه   في البرايا ما لها من عدد

رُوحُ سَعدٍ أصبحت تُنشدنا   يُمنُ غربٍ نَصرُ ملكٍ أوحَد

يُمنُ غَربٍ نَصرُ ملكٍ أوحد   قد حماهُ من تعدي المعتدي

قامَ باللهِ ولبيهِ لما   جاءَ في الشرعِ العَزيزِ الأحمَد

واثقٌ باللهِ كافٍ مُكتفٍ   مُرشدٌ أنعم به من مُرشد

منةٌ أكرمنا اللهَ به   فهنا الغربُ به لم ينفَد

ظفرت أرواحنا من يُمنهِ   بأمانٍ في زمانٍ أرغَد

هامَ في أوصافه ذو أدبٍ   ودهى ذهنَ ابليغِ أمجد

يا لَهُ من مالكٍ إحسانه   في البرايا ما لها من عدد

رُوحُ سَعدِ أصبحت تُنشدنا   يُمنُ غربٍ نَصرُ ملكٍ أوحَد

أسعدُ الخُلفاءِ والأمراءِ مَن سعى للورى في نَيلِ هَناءِ

تَزدَهي أنفُسُ الرعيةِ لما حفَّها الأمنُ من جزيلِ العطاءِ

الإمامُ الذي تَسامى إلى ال فَضلِ والجُودِ والحيا والوفاءِ

ذِروةُ المجدِ دُرَّةُ الفَخرِ ياقو تةُ فضلٍ وتاجُ أهلِ الثناءِ

يخجلُ البُدورَ سناهُ ومحياً أنوارُهُ في ضياءِ

باذِلُ البشرِ والسماحةِ والإغ ضاءِ والحلمِ والحيا والحِباءِ

ينتمي لِجَنابِهِ كُلُّ وَصفٍ رائقٍ حَسَنٍ بِغَيرِ انتِهاءِ

أصبح السَّعدُ خادماً لِعُلاهُ والأَماني تَدعو بِطولِ بَقاءِ

نالَ مَغرِبُنا والمُنى من أسعد الخلفاءِ والأمراءِ

سوابقُ النُّجحِ جالَت ما بَين أَرجاءِ فَضلِكَ

خيارُها مِنكَ نالَت أقصى الأماني بِعَدلِكَ

يُحكى وَحَقِّكَ قالت سَيبُ الغمامِ بِبَذلِكَ

كُماتُها مِنكَ صالَت لَمّا استظلَّت بظِلِّكَ

رِكابُها قد تَعالَت بالقربِ عِزّاً لأجلِكَ

أيامُها الغُرُّ طالَت مُهَنِّئاتٍ بوَصلِكَ

ما عَنكَ في الدهرِ مالَت منها مدائحُ فِعلِكَ

هُمامٌ جَليلٌ قد سَما بمحمّد　　　فأنعِم بِمُلكٍ بالإله مُؤيد

ولايةُ مَلِكنا وافي العُهود بها نَيلُ الأماني في الوُجود

أجلُّ مالكٍ جَليُّ الوَصف   زَهيُّ راحةٍ نديُّ الكفِّ

اسعد بنيلِ الأماني من ملكٍ ... وفي العُهود ومنجزِ الطلبِ

أعظم به من إمامٍ به السعادةُ تسعَد

حظّضت لديهِ الأماني ركابَ نَصرٍ مُخلَّد

مَحَلُّ وِدٍّ وعهدٍ حلَّ الصدورَ هواهُ

حوى محامِدَ حلمٍ وما حواها سواهُ

للحمد أهلَ لُما عم الودودَ عطاهُ

للاسم لاح عُلُوٌّ سما السماءَ عُلاهُ

أدامَ مولاهُ دهراً لدى المُلوكِ عَلاهُ

على عُلاه سلامٌ مدى الدوامِ مداهُ

عليهِ من الحبِّ طولَ الدوامِ   سلامٌ مُضافٌ لألفِ سلامِ

سلامٌ يَفوقُ عَبيرَ الشذا   وبالندِّ يُزري ومِسكِ الخِتامِ

سُلطانُ عدلٍ وفضلٍ يَسمو المُلوكَ ويصعَد

محمدٌ ذو المزايا سِبطُ الرسولِ مُحمّد

ولنقل للحبِّ الذي   لي على وُدِّهِ شُهود

في حُضوري وغيبتي   لم يَزَل حافِظَ العُهود

وَلولا ما أُرجّي من لِقاكُم لذابَ القَلبُ من نارِ اشتياقي

ورَبّي جلّ اسألُهُ قريباً يمنُّ عليَّ مِنكُم بالتلاقي

له على الكل منه إذ كان للخلقِ جُنَّه

نجاهُم من جحيمٍ وقد دعاهُم لِجَنَّه

تبدى بأفق الملك بدر سعادةٍ بأنوار فضلٍ عمَّ السهلَ والوعرا

ولا عيبَ فيه غيرَ أنَّ نوالَهُ إذا سحَّ يوماً أخجل المزنَ والبحرا

مُنى النفوس الهنا وراحةُ البدنِ مراحُها الأمنُ في سرٍّ وفي علنِ

رنا لها طرفُها بنيلِ مطلبها فاستبشرت بالذي ترجوهُ من منَنِ

ضمت سعادتها لما به ظفرت من أمنِ أسعد ملكٍ محسنٍ حسنِ

يلقاك بالبشر طلقَ الوجهِ مبتسماً تغنيكَ رُؤياهُ عن أهلٍ وعن وطنِ

كفاكَ من وصفهِ الشريف أنه من بيتِ الذي جاءنا بالفرضِ والسننِ

خدنُ المعالي رفيعُ القدرِ من خضعت لعزِّهِ عُظماء البدوِ والمُدُنِ

يُعدُ من خدمٍ له ابن زائدةٍ ومن مماليكهِ سيفُ بن ذي يَزَنِ

رضاه من نالهُ حفت به نعمٌ إمدادها لم يزل على مدى الزمنِ

أبقاه ربيَ في سعدٍ سعادتُهُ تُنيلُ أوفى الهنا وراحةَ البدَنِ

بدائعُ الألحانِ والأوزانِ   ورائقُ المدائحِ الحِسانِ

أهديتُها للمالكِ الجليلِ   ومن ربا في المجد والتبجيل

حلف التقى والعلمِ والديانه   والعدلِ والحلمِ مع الصيانه

سِبطِ الرسولِ الهاشمي العدنان   أميرنا ذي الفضلِ والإحسان

نديِّ راحةٍ كريمِ الكفِّ   زهي أخلاقٍ زكيِّ الوصف

خدن المعالي والمعاني الرائقه   وشيمٍ بين الأنام فائقه

يغضي حياءً عن وفاءٍ وذَمم   يعفو مع القُدرةِ عن محضِ الكرم

رفيع جاهٍ دامَ في عز يزيد   وفي هناءٍ كاملٍ وافٍ مديد

بحبِّ آلِ محمد   لنا الهناءُ المؤبد

مقامُهُم في البرايا   على الكواكب يَصعَد

دعاني أسعَدُ سَعدٍ   لما بِهِ الدهرُ أسعَد

حباني حُبُّ إمامٍ   لَهُ المكارمُ تُسنَد

غدا ودادي يبدي   يواقيتَ المدحِ الأوحَد

زَهَت بوَصفِ هُمامٍ   علا المفاخِرَ شَيَّد

يَروقُ حِلماً وعَدلاً   بِهِ الخلائقُ تَسعَد

رِضاهُ كنزُ ولُوعٍ   بحُبِّ آلِ مُحَمَّد

عظمت نعمٌ من أمير سَعيد الأنام بها في السرورُ يَزيد

ظَرفاً حِلماً أدباً حسباً فاق أهلَ الثناء والفخارِ العَميد

يرتقي ذروَةَ الماجدينَ كما للمعالي سما منهُ فعلُ حَميد

مَلكٌ فضلُهُ في الوَرى واضِحٌ بَذلُهُ وافِرٌ كامِلُ وَمديد

السعيدُ الذي أفصَحَت مدحُ بمآثره كُلَّ يومٍ جديد

مَوردُ الحِلمِ مَنهَلُهُ كرماً كفُّهُ بالسخا والكِفُّ لا يَبيد

يَرتوي أبداً من سواكبها من لهُ أدبٌ في الأنامِ فَريد

رَحمةٌ للورى دون ما عَددِ عظمت نعمٌ من أمير سَعيد

أكرِم بمُلكٍ باهرٍ إمدادُهُ   وافٍ بَديعٌ كاملٌ لا ينقضي

يا حُسنَهُ من مَلكٍ حَسنٍ   جاءَ بأمنٍ يُمنُهُ دائمُ

أوائلُ الفتحِ فتحٌ   لمن له السعدُ ناصر

تسعٌ وتسعونَ حرفاً   منها استفدنا بشائر

بدا بها اسمُ إمامٍ   أبٍ وجدٍّ مآثر

أخبارُ أيامِ مُلكٍ   تاريخُ نَصرٍ لآمِر

مجموعها نقطُ جدٍّ   مُحمدٍ ذي المفاخر

والجدُّ بالفتحِ بختٌ   حظٌّ وسعدٌ مفاخر

وأيُّ عزٍّ وفخرٍ   لمن له الذكرُ ذاكِر

تلك السعادةُ منذ   حازَ العُلا عن أكابر

فكُن إمامَ المعالي   لأنعُمِ اللهِ شاكِر

فقد بلغتَ الأماني   وحُزتَ أسمى الذخائر

رئيس حبهُ بالقلبِ يأوي وما لي في محبته مساوي

إذا ما قيلَ من تعنيه جهراً أقولُ علي الرضى الأسمى السلاوي

على أرجائِهِ منّي سلامُ يدومُ لديهِ ما سَكَبَ الغمامُ

وما شادتْ على الأغصانِ وُرقٌ بجَنَّتهِ وما غنى الحمامُ

ووحَقِّ الوفا وحفظِ العُهود　　ما تخلفتُ عنكُم عن صُدود

غير أني ضعيفُ حالٍ ووقتِي　　لم يُساعد بوجهتِي وَوُرود

بِنَصرٍ إمامٍ حلَّ مغربنا الهنا وحقَّ به اليُمنُ المُؤَبَّدُ والأمنُ

وفاضت علينا من سحائبِ فضله غيوثُ الندى قد غارَ من سيبها المُزنُ

أحدث عن أخلاق أسعد مالكٍ يؤيدُ بالفتح المبين وبالنصر

مشيد أركان السعادة والهنا مُؤسس حصنِ الأمنِ واليمنِ والبشر

يجودُ ويعفو منةً وسماحةً يمنُّ بلا من ويسدي بلا حصر

رصينُ المعالي ثابتُ المجد والثنا بديعُ المعاني رائقُ الحمد والشكرِ

عمادُ البرايا كافلٌ لرعيةٍ ومرشدها للرشد والبر والخيرِ

ظفرنا بسعدٍ من سعادةِ سعدهِ فأسعد بملكٍ سالم القلب والصدرِ

يُلاقي ببشرٍ للرعية رحمة وذاك لعمري دأب مرتفع القدرِ

مدى الدهر لا زالت سحائب فضله على سائر الأقطار والكفة القطر

لطيبِ الأنفاسِ والأرَجِ | ورافعِ المِقدارِ والدرجِ

فحولُ مدحٍ حكمت لفظها | نظامَها بالسحرِ فلتمزجِ

خطابُها تهنئةٌ للذي | به استراحَ الغربُ من هرجِ

راقٍ منارَ الأمنِ مستبشراً | بالأمن والفتحِ وبالفرَجِ

إمامُ عدلٍ حُبُّهُ لم يَزَلْ | في داخلِ الأحشاءِ والمُهَجِ

مُحيٍ أماناً في رعيتِهِ | لما سرى فيهم على النُهجِ

يُؤلفُ الخلقَ بحِكمتِهِ | حتّى استقامَ الكُلُّ من عِوَجِ

رعايةً يمنحُهم ما بهِ | يُكفَونَ من روعٍ ومن حرَجِ

يُولي قَبولاً عَرفُهُ عطِرٌ | مُطَيِّبُ الأنفاسِ والأرَجِ

شمائلُ مُلكٍ سَما شَرَفاً   تَحارُ العُقولُ لأوصافِها

جَلِيَّةُ حُسنٍ تَغارُ لَها   جَواهِرُ لاحَتْ بأصدافِها

يُمثِّلها الفِكرُ عن أدبٍ   أزاهِرَ رَوضٍ لألطافِها

عجائبها ما لَهُ عَدَدٌ   وَمَن لي بإحصاءِ أصنافِها

وَحَقِّ مَحاسِنها لم تَزَلْ   نِظامي حَياتي من اوقافِها

فبالمدح أرجو تلاحظُني   عُيونُ الأَماني بأوطافِها

أروحُ وأغدو وقد نشرَت   عليَّ رِداءً من اكنافِها

أتيهُ بها تيهَ ذي مدحٍ   لعالي المُلوكِ وأشرافِها

زَكِيُّ المجد والقدرِ مُوالي الفضلِ والإحسان

هنيّ نقيّ زهيّ بريّ وكيّ رضيّ حفيّ وفيّ

جليّ صدوق أديب مجيب منيب أريب لبيب غنيّ

أبيّ بديع وحيد همام أمير أغرّ صفوح هديّ

مليّ لبيب مَجيد ودود إمام مُجيد منيف سريّ

سنيّ مفيد ظريف أمين أعزّ نسيب نجيب نجيّ

مضيّ رشيد حسيب حميد مجير مجاب أجلّ صفيّ

حييّ مصيب أُحَيد كريم مهيب مثيب حبيب بهيّ

نديّ نميّ سميّ كميّ وليّ عليّ سخيّ وعيّ

هذا وإني للعود محافظُ ولودكُم والله ما أنا لافظُ

ولمدحكم بين الأجلةِ مُعلِنٌ وبشكركُم بين الأجلةِ لافِظُ

وافى كتابُ حبيبٍ وفيهِ أسمى بشارَه

أجابَ سُؤالَ إمامٍ عني بِحُسنِ العِبارَه

سباني غزال في المحاسن مفرد ... له بهجة تعلو البدور وتصعد

رمى مهجتي عن قوس حاجبه كما ... غدا لحظه بالفتك للقلب يرصد

بأسعد مالكٍ وفي العُهود هناءٌ قد تجدَّدَ في الوُجود

عظيمُ القدرِ سامي الفخرِ عالي ال جنابِ وارثٌ فضلَ الجُدود

رحيبُ البذلِ بادي العدلِ مُسدي جزيلِ الفضلِ عن كرمٍ وجُود

فضائلُهُ الغزيرةُ ليس تُحصى ومن يُحصي الجواهِرَ بالعُقود

خلافتهُ أمانٌ في أمانٍ ولايتُهُ سُعودٌ في سعود

طليقُ الوجهِ بادي البشر أوفى وفي في المصادر والورود

يُراعي العهدَ يَحفظُهُ امتناناً يفكُّ أسيرَ ظُلمٍ من قُيود

رُزِقنا سعادةً أمناً هناءً بأسعد مالكٍ وافي العُهود

السعيدُ من سَعِدت   من علائِهِ الأُمَمُ

غُرَّةُ الملوكِ ومَن   مِنهُ قد سَمَت هِمَمُ

راقَ من خلائقِهِ   الوفاءُ والكرمُ

كافِلٌ رعيَّتَهُ   عمَّها به نِعَمُ

مُصدَقُ الثَّناءِ ومَن   في العُلا لَهُ قَدَمُ

يَرتَقي بِهِ أَدَبٌ   تَزدهي بِهِ حِكَمُ

جادَ مَدحي لإمامٍ فاضِلٍ جاءَ بالأمنِ وبالفتحِ المبين

بحمد الله تفتحُ الرسائل وصلِّ على المقدمِ في الوسائل

محمد خاتمِ الأرسالِ أسمى شفيعٍ في الأواخرِ والأوائل

وعلى عهدٌ إن ظَفِرتُ بِقُربِكُم … لَبَذلتُ مني الروحَ دون تَوَقُّفِ

ولثمتُ تُربَ بِساطِ أسمى مالِكٍ … في لَثمِهِ عزي ونَيلِ تَشَرُّفي

من السعادة أسعَد   سَعدُ الأميرِ المؤيَّد

فهو السعيدُ ومنه   كل الرعية تسعد

خِلافَةٌ قَد سَمَت مَفاخِرُها   عَن أن يُرى في الوَرى مُفاخِرُها

لدى الخلائقِ قد عَلَت شَرَفاً   وفي الوُلاةِ سَمَت مآزِرُها

يَروقُ إخبارُها ومَخبَرُها   يُرضيكَ باطِنُها وظاهِرُها

لعدلِها وصفاءِ مَورِدِها   اللهُ كافِلُها وناصِرُها

تَزيدُ عِزّاً مُؤَبَّداً وبِهِ   يَسعَدُ بادِيُّها وحاضِرُها

قَرَّت بها أعينُ السعادةِ إذ   أحيى المُنى بَدؤُها وآخِرُها

أكرِم بها مِن خلافةٍ ظَهَرَت   وقد سَمَت في الوَرى مفاخِرُها

أوفى صلاة زكيه على أجلّ البريه

بها ختمتُ نظامي للمفردات البهيَّه

وعلى من آواهُ منهُ بساطٌ　　　من شريفٍ وكاتبٍ مَبرورِ

وأخُصُّ الجليلَ مولايَ إدري　　　سَ الذي حازَ للثنا المشكورِ

لعالي الجاهِ والقدرِ ثنائي جلَّ عن حصرِ

عزيزُ الفضلِ إن أسدى محلُّ الحمد والشُّكرِ

رضاهُ منيتي قصدي ثناهُ عزَّتي فخري

بهِ أقسمتُ لم أبرَح نزينُ النظمَ بالنثرِ

حلا لي مدحهُ حتى أتيتُ فيه بالسحرِ

له من عبدهِ أوفى مديح مُدَّةَ الدهرِ

أُرجِّي بالرِّضى قُرباً لعالي الجاه والقدرِ

مَحلُّ حمدٍ مُؤبد   دهري بمدحهِ نسعَد

عالجتُ بالمدحِ دائي   أُحيي ليالي لنحمَد

هنت بملكٍ نفيسٍ   أيامُ سعدٍ مُخلَّد

أحيت علاءً يُوالي   لواء نصرهِ صعد

رضاهُ هديُ أُناسٍ   لحاضُهم لَهُ هُجَّد

أميرٌ عظيم رحيب غني ⠀⠀ مرضيك خيراً بعرف خطير

يشيد وصفاً لغربٍ حلا ⠀⠀ بأحسن خيرٍ يقوم ظهير

لفخر أميري خليل تقي ⠀⠀ أتى ذو بيانٍ بمدح غزير

سخيّ كرامٍ أغر كميّ ⠀⠀ شجيع وفاء عظيمٌ أمير

وعني خبر الجميعُ بأنني مشوقٌ لأرضٍ حلها خيرُ مالِكِ

بها جَمعَ اللَه السعادةَ إذ غَدَت محلاً لحامي أهل مذهبِ مالِكِ

هذه أحرفُ حبٍّ حمدكَ   وعلى صِدقِ ودادٍ أشهدَكَ

رُسِمَت في رَجَبٍ تاريخُها   وَلَدُ المهدي الغزالُ أحمدَكَ

طال في زهوٍ وفي طربٍ   مَلِكٌ به الورى سَعِدُوا

حديث ذوي العلياء أشهى من المنى   وأعذب من فضل ينال بلا منن

أحي حياتي للكرام فكان من   خيارهم نجل الحسين بلامين

أبو الحسن أسمى الجليل الذي سما   جلالا على البايات بالدين والذهن

يذكر منه الفضل اخبر حاتم   فيغنيك عن أخبار ذي يزن معن

لكفوف أياديه يسح نوالها   لسائلها كالغيث كالقطر كالمزن

همام به اقليم تونس يزدهي   هناء مع الأمن المؤيد واليمن

حماه بسيف العدل والحلم والتقى   فزاده حصنا حصينا على حصن

فأكرم به من ماجد وارث العلا   عن السلف المرحوم بالفضل والمنن

محاسنه تروا لدى كل مشهد   مدائحه تتلى على خلقه تتن

يحن لها قلب المشوق تلذذا   إذا مداح ذي العلياء أشهى من الحين

راحة الارواح والمهج واغتنام الزهو والفرج

واستراح القلب من تعب واكتساب الانس من هرج

وانتماء الحال عن سرد واقتناء العزف وهج

هذه الأشياء أجمعها ترتجى من طيب الأرج

أجود البايات أكرمها سيفها المعد للحرج

تونس سامت بعزته ما سمت عن أرفع الدرج

فأبها نجل الحسين ومن سار في الحكم على النهج

لعليها بدت حكم لم تدع بالناس من عوج

ظفرت منه عينه بالمنا والانس والفرج

قد صارت محبته راحة الارواح والمهج

الفضل والبذل والاحسان والجود في أبي الحسين على الجناب موجود

عن والد وارث الندا ولا عجب فالوالد المتقي يقفوه مولود

أكرم من به خلقا عن سلف سعدت به بنو تونس وذاك مشهود

باي على سمت في الجود وتبته الوصف مستحسن والفعل محمود

قد ازدهت تونس بحسن سيرته أيامها كلها والله وعيد

تزخرفت طربا تبخترت ظرفا للزهو ساكنها في الناس محسود

بطالع السعد أشرقت ولايته إذ كان طالع السعد مرصود

فهو السعيد الذي بدت محامده لها بمحفل أهل الفضل تقييد

دامت لعزته العلياء خاضعة مادام احسانه في الناس معهود

وهام من كفه جودا لسائله الفضل والبذل والاحسان والجود

عرج على تونس وحي جناب ذي الجانب العلي

إمامها بايها المفدى بالشيخ والكهل والصبي

ممهد أرضها بعدل وناشر الامن بعد طي

رعية أصبحت تهنى بابن حسين الرضى علي

أنامها في ظلال أمن نائمها حاسد لحي

أكرم بباي على قدر مبجل ماجد سري

من كفه ان همت ببذل تتر ندا حاتم بطي

لم يبق منه جميل حلم لأحنف رفعة بحي

عنه روا الفضل في ذويه سل تغظ مارمت من ولي

فعج على تونس وسلم على أماكنها وحي

بمدح ذوي المعالي والمفاخر لمنتخب القريض علا أفاخر

أناس وصفهم اكسير مدح يصير حرزه أعلى الجواهر

معانيهم لها الاسماع تصبوا تحن لها أكابر عن أكابر

بافريقية سادوا فشادوا مباني المجد في بدو وحاضر

ولايتهم مهنّاة المعاني ما قسمة السعادة والمآثر

بنجل حسينها الاسمى علي ترقت بهجة حسنا مآثر

سليل الأكرمين ذوي المزايا ومن أمداحهم ملأت دفاتر

إمام جوده كالشمس باد به مثل غدا في الناس سائر

غنى المداح أمداح لباي بتونس بذله كالبحر زاخر

ولا عجب إذا ما نيل قصد بمدح ذوي المعالي والمفاخر

رنت بألحان على الاوراق ورق الرياض فهيجت أشواق

قد تذكرت أيام أنس بالحما مابين أخذان وخير رفاق

من دأبهم تحبير مدح معظم بمهذب الالحان في الافاق

بأنوار ما عني بانوا لحظة فلبينهم تحفوا الكرا أحداق

ومن السعادة ان أنست بمثلهم في اللحن والأدب البديع الفراق

القنتم مدحا يزيد بلحنهم حسنا لوصف مهذب الاخلاق

كهف المفاخر والمواهب والندا جم المناقب طيب الاعراق

ابن الحسين علي باي من سما فضلا على البايات بالاطلاق

باي جليل مجده وجلاله وجماله كالشمس في اشراق

لازالت المداح تزف في مدحه ماغردت ورق على الاوراق

في رياض الحسن نزه النظر واترع الاكواس واسقي من حضر

وأخلع عذارا في الهوى والتهم وجدا بيدو وحضر

فقتيل الحب حبي بين من لهم الموت حياة تعتبر

شرف الاوصاف في أهل النهى صبوة وجد هيام وفكر

هذه أخلاق من ساد علا وترقى رقة بين البشر

واذا ما لاح لاح في الهوى اشتكيه صاحب السعد الاكبر

أجود البايات ... خبرا ووصفا وخبر

ذي المعالي بن حسين من به تونس قد طاب منها المستقر

لبنيها بعلي بايها شرف ما ان بدا فيها غبر

جنة الحسن عدت أريجها فيه فان الحسين علب النغر

سما سماء المجد والشرف مهذب الاخلاق والشيم

سليل أسلاف كرام ومن فضلهم نار على علم

على باي بن الحسين الذي حوت له ما ملت ذي الهمم

حلم حياء حكمة أدب جود سخاء تخجل الديم

أحيا رسوما ماهدها قدم قام لها عزما على قدم

أسس أركان الهنا فازدهت تونس في الحسن والحكم

ألبسها من عدله حلة جليلة في القدر والقيم

وقد حباها طيب أنعمه فهي ترى في أعظم النعم

في روضة الحسن نزه المقل واجن ثمار المنا بكامل

قد سعد الوقت فاغتنم طربا بطيب أنس باليمن محتفل

وأرو حديث الندا بمحفل من منه النوال يخل عن مثل

أحنف تونسا وحاتمه اياسه عمره لذي أمل

نجل حسين علي من خضعت له اولي النها والخيل

باي جليل سمت مآثره سمو شمس بدت من الحمل

أخبار مخبره سامعه تغنيه عن خبر سالف الدول

كهف بلاد ذو ملجأ امننا به رعيته من الحل

أدامه الله في رياسته مكمل السعد موفي الامل

باسا وأدب مراجه في روضة الحمى نزه المقل

أنجب الادباء يهدى نظامه لمعاني ذوي الندا والكرامه

نظم دون اليواقيت فبدوا ليس تهدى لغير أهل الفصاحه

فبنات الافكار تطلب كفا لعلاها من ذي علا وفخامه

زارع بره باطيب أرض نال كل المنا وحاز اغتنامه

كيف كيف بزارع الدواليث ذو في أرض ماجد ذي زعامه

خير باي علي نجل خبير من جدت من المعالي جلامه

وافر البذل كامل العدل مسدي الفضل جودا لمريدوا مياهه

ظفرت منه تونس بأمان وهناء مؤبد وسلامة

دام دام لها ودامت لديه في سرور يولي الدوام دوامه

مالأهل النوال بين البرايا أنجب الادباء بهديه نظامه

روينا أحاديث الألي ورثوا العلا قديما فقازوا بالثناء المؤبد

فقيل أناس قد تقضى زمانهم فهل مثلهم يوما شهدت بمشهد

فقلت لهم والقول مني صادق ولم أك فيما قلته بفند

إذا شئتم أن تنظروا شبه من مضى ومن فاز بالذكر الجميل المخلد

هلموا إلى بحر العلوم ومن غدا بأنواره أهل المعارف تهتدي

هلموا إلى بحر العلوم ومن غدا بأنواره أهل المعارف تهتدي

هلموا إلى طود المكارم والندا هلموا إلى سبط الرسول محمد

هلموا إلى مأوى المفاخر والعلا هلموا إلى الأسمى ابن عمار أحمد

إمام جليل فاضل أي فاضل همام جميل منجد أي منجد

بوالده دينا وعلما قد اقتدى لقد جل نجل كان بالأب يقتدى

فأكرم به من ماجد وابن ماجد وانعم به من سيد وابن سيد

له خضعت أرباب علم لعزه وكيف وفيهم قام أعظم مرشد

مشاهده في مجلس الدرس لم يزل مقرا له بالرق في اليوم والغد

عباراته في العلم ما بين أهله تدل على الفتح المبين المؤيد

فقد شنفت أسماعنا عند شرحه لأسمى حديث عن رسول ممجد

فما سمعت أذني ولا العين أبصرت شبيها له غربا وشرقا بمعهد

وما هو إلا البحر بحر فضائل لقد فاز من أمسى له خير مورد

وردت معينا من بحار وداده فحق لنا البشرى بنيل التودد

وما زلت أرجو الله قرب جواره بجنة فردوس بأرفع مقعد

هناك يطيب الأنس حيث نعيمه بغير انقضاء زهره في تجدد

وظني جميل في الكريم تفضلا يبلغني المأمول من كل مقصد

وأجابه على وزنها ورويها بها الشاعر محمد ابن الشاهد على لسان شيخه ابن عمار الجزائري:

عسى أن يلم الشمل بعد تبدد عشية هذا اليوم أو ضحوة الغد

ويطوى بساط الهجر من بعد نشره ويلبس مطوي الوصال المجدد

وتأتي من الأحباب صولة منصف فتخمد للواشين فتنة معتد

وتقرأ آيات من العتب بيننا   فينسخ منها الود كل توعد

سقى عهدهم صوب الحيا وسقاهم   وإن هم سقوني كأس هجر مزرد

ليالي نسقى بالمسرة أكؤسا   دهاقا ولا نخشى الرقيب بمرصد

ونخلو وما غير العفاف نديمنا   حليفي وما من نائم ومسهد

أنزه في خد الحبيب نواظري   وأكحلها من عارضيه بإثمد

ليالي لا تغضى العيون على القذى   وليست ترى فيما ترى غير مسعد

فلله ذاك العهد حسنا كأنما   أعيد له طبع المهذب أحمد

فتى قد تناهى في محاسنه غدا   رسول أمير المؤمنين المؤيد

فغرب وشرق لست تبصر مثله   وأتهم إذا ما شئت ذاك وأنجد

رقاق المعاني واليراع لطيفة   فهل ملكت للفكر منه ولليد

يفتح من آرائه كل مغلق   يضيق به رب الحسام المهند

يجود لرؤياه البخيل بماله   فقد مد من فصل الخطاب بمنجد

فكم مشعر قد غير الظلم رسمه   وعاد له حسن البناء المشيد

وانجد أسرى المسلمين وكتبهم   وأيد دين الله كل مؤيد

وشيد للإسلام عزا ممنعا وكل بتوفيق الإمام محمد

(وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد)

وهل تصلح الأعضاء والقلب فاسد وأنى ترى عقدا بدون مقلد

أغزال هذا العصر من رق غزله له العذر إن لم يكفه غير عسجد

كمدحك مولانا وقطب بلادنا وبدر علاها بين نسر وفرقد

فلست وقد أبصرته وسمعته وخاطبته في مدحه بمقلد

تناسبتما اسما وارتقاء وسؤددا وفضلا وفي خلق كريم ومحتد

فيا فخر آفاق الكمال وأنتما معا قمراها لاعين لمهتد

فللمجد دوما يا رضيعي لبانة عزيزين محفوظين من كيد حسد

أجاريك في مدح وإن كنت سابقا ومن ذا الذي جارى الرياح بأجرد

فأنت إذا جليت غير منازع وإني إذا صليت غير مفند

فصل في الأعادي صارما وابن صارم ودم للمعالي مفردا مفردا وابن مفرد

ولا زال ذاك المجد والله حافظ له موردا يحلو على كل مورد

يا لائمي كف عني زدت حزنا على حزني

كنت سقر ونغني صرت نسقي ونغني

شكوت لمن قد شق قلبي نوره بعده توقد نار ليس تطفى سعيرها

فقال لي بعدي عندي أكثر راحة ولولا بعاد الشمس أحرق نورها

لبعضهم عن السحر المبين تبين لها عند تحريك الجفون سكون

إذا ابصرت قلبا خليا والهوى تقول له كن مغرما فيكون

في الأنام يسعد برؤياك ياضياء العين حق لها

المرام حيا محياك البديع الزين عالي البها

يا نور عين

كيف لا نرتجي للأماني

والجمال وصف لمعناك وندى الكفين فيك انتهى

النوال ما كان لولاك حلته كالدين على اللها

يا نور عين

من في العلا ما ظهر لك

من سناك تشرق الأفلاك وضيا البدرين منك ازدهى

في رضاك تهدى أملاك والرقاب والعين من ذي النهى

يا نور عين

سلا بانة الجرعاء هل جادها قطر وهل أمرعت أجزاع ساحتها الغر

وهل نسجت أيدي الحياء بروضها برودا لها من كف راقمها نشر

فيا لك روضا من بكاء غمامه تبسم من أثغار أكمامه الزهر

كأن به الأدواح تهتز نضرة عرائس تزهو فوقها حلل خضر

كأن بها ورق الحمائم سجعا قيان لها في صوغ ألحانها جهر

كأن ثغور الأقحوان مباسم تسلسل من ظلم الرضاب بها خمر

كأن الشفاء اللعس منها شقائق تناسق فيها تحت قانئها در

كأن احمرار الورد في ريق الحيا خدود غواني الغيد لاح بها بشر

كأن ذبول النرجس الغض عادة لواحظ من أهواه ساج بها سحر

كأن غصون البان والرند ميسا خرائد دب في معاطفها سكر

كأن شذا الأزهار ينفحها الصبا فيملأ أرجاء المتان لها نشر

خلال أمير المؤمنين محمد إذا صيغ فيه المدح أو نظم الشعر

إمام له في باذخ العز رتبة تقاصر عنها الوهم والوصف والحصر

تسامى على سامي السماك مكانها وصار إلى عليائها يخضع الدهر

وساد لها شم الشوامخ هيبة وأمسى يراها فوق هامته البدر

تذل لها الآساد في أجماتها وترتاع في أغمادها القضب البتر

تزلزل أهل الشرك منها من مهابة بأسها ولم ينجهم في الأرض بر ولا بحر

يؤدون بالإذلال والهون جزية يقون بها الأنفاس فهي لهم عمر

ومن لم يرم إعطائها متكبرا يحيق به في الحين من بأسه مكر

كما حاق بالمهدومة الخير جهرة وحل بها من سوء أفعالها خسر

تصدى لها فخر الملوك بغزوة تزعزع منها الجو والبر والبحر

وصب عليها من بوارق بطشه صواعق حتف لايطاق لها أسر

فأفسدها قهرا وخرب دورها وشرد أهل الكفر عنها لهم ذعر

ومن ذا يلاقي صولة هاشمية إذا انتهضت للأمر يسبقها النصر

فيا لك من عز تكامل سعده ويالك من فتح به سمح الدهر

تقاصر عن إدراكه شأو سابق وحاول أن يلقاه فانعكس الأمر

فآخره الرحمن للعادل الرضا ليعظم في الأعمال منه له الأجر

بك اختتم الإحسان والعدل والندى كما ختم الأشفاع في فضلها الوتر

وكيف تدانيك الملوك سماحة وعزا وفخرا أو يكون لها خطر

ولم لا تفوق الناس مجدا وسؤددا وتعنوا إلى أوصافك الأنجم الزهر

وأنت سليل المصطفى سيد الورى ومن من نداه الجم يغترف البحر

ورثت نداه والسجايا وعدله وسيرته في الخلق فاكتمل الفخر

فأصبحت للإسلام طود حماية وغيثا لأهل الأرض إن نالهم فقر

تود البحور الزاخرات لو أنها يكون لها من جود راحتك العشر

تناسى الرشيد والأمين وصنوه وجعفر والمهدي والواثق الصدر

نسخت حديث القوم في الجود والندى فأصبح وهو اليوم ليس له ذكر

أتتنا بك الأيام عند مشيبها فعادت عروسا بالبهاء لها قدر

وعادت رياض العلم عابقة الشذا تغرد في أفنان أدواحها الطير

وشدت ذرا الآداب فاعتز أهله وصار لهم في كل شاسعة فخر

فخذها من العبد المحب قلادة تناسق من غالي المديح بها در

يؤد جرير والفرزدق حقها وتخجل من ألفاظها الأنجم الزهر

تطرز عذب النظم منها بمجدكم ونادى جهارا هكذا ينظم الشعر

فقابل ثناها بالقبول فإنه   عرائس مدح والقبول لها مهر

وجزمي لكل الجزم أنك فاعل   وأني بها لاشك ينضحني البحر

وإن قصرت في حصر مجدك إنها   ستنشد ما قد قاله العالم الحبر

إذا نحن أثنينا عليك بمدحة   فهيهات يحصي الرمل أو يحصر القطر

ولكننا نأتي بما نستطيعه   ومن بذل المجهود حق له العذر

أدام لنا الرحمن ملكك عزة   وفخرا إلى الإسلام ما بعده فخر

وخلد رب العرش أمرك في الورى   به تسعد الدنيا ويبتهج الدهر

ودمت قرير العين للدين والهدى   ودام مدى الأيام يخدمك النصر

وقال في مدح الشيخ أحمد الطواش:

حييت فأحييت بعد شط مزار خود بها صبري غدا متواري

تاهت فتاه غريمها بجمالها بمفاوز الأوعار والأخطار

فكأنها شمس الضحى أو أنها بدر الدجى يسنو على السمار

أو أنها نظم الإمام المرتضى بحر العلوم لنخبة الأخيار

من ساد أهل زمانه بفخاره مبدي المعارف شامخ المقدار

حامي حمى الأدب الرطيب اليانع الغضِّ الطري بسائر الأمصار

أعني الطواش الشيخ أحمد من له التعظيم والتبجيل في الأقطار

ذاك المفدى أحمد الأفعال من لعلاه قد خضعت ذوو الأنظار

المصادر:

رسائل العلامة احمد الطواش مطبوع الكترونيا

أحمد بن عيسى الغزال – الحدائق: مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء: 858

رسائل أحمد الغزال الأدبية: تحقيق: د. أحمد العراقي مطبعة أنفو برينت، فاس 1999

موشحات مغربية عباس الجراري مطبوع

أعلام المغرب العربي مطبوع

تاريخ تطوان 2 مطبوع

رحلة ابن عمار الجزائري مطبوع

مصادر لم أقف عليها:

كناشة الخزانة الملكية بالرباط: 2249

كناشة الطيب العلمي المكتبة الوطنية بالرباط: 2249 ك

درة السلوك وريحانة العلماء والملوك عبد السلام العلوي مخطوط الخزانة الملكية بالرباط

الشعر والشعراء للنميشي مطبوع

الغزال؛ أحمد بن المهدي

الرحلة الفائضة والألفاظ الرائقة

المكتبة الوطنية بتونس: 12824

غزال ؛ أحمد بن المهدي ال

كناش به عدة إفادات ونقول/أحمد بن المهدي الغزال

المكتبة الوطنية بالرباط: 414ع